

## الخصائص الأدبية والفنية في مسرحية جبران خليل جبران ( إرم ذات العماد)

د. عبد العزيز بوشلاق  
جامعة المسيلة

### resume

La différence entre l'art et la littérature est très petite, à peine visible à travers la langue et l'expressions, utilisé par l'auteur comme un écrivain ou un artiste pour exprimer des positions différentes, de sorte que les caractéristiques littéraires et artistiques diffèrent d'une œuvre à l'autre, et cela n'est montré que de la langue, ainsi que le dialogue comme deux cadres de la relation de L'auditeur dans le discours direct ou indirect, ou représenté par le spectateur dans le spectacle théâtral, et cet article cherche à le clarifier à travers la pièce théâtrale de Gibran Khalil Gibran "Iram That E l'Emad"

Mots-clés: Art – littéraire - artistique de la littérature – théâtre – Gibran - "Iram That E l'Emad".

### Abstract

The difference between art and literature is very small, barely visible through the expressions, used by the author as a writer or artist to express different positions, so that the characteristics Literary and artistic differ from one work to another, and this is shown only by language, as well as dialogue as two frameworks of the listener's relationship in direct or indirect discourse, or represented by the spectator in the theatrical spectacle, and This article seeks to clarify it through the room theatral of Gibran Khalil Gibran "Iram That E l'Emad"

### Keywords:

Art – literary - artistic literature – theatre – Gibran - "Iram That E the Emad."

الملخص:

إن الفرق بين الفن والأدب ضئيل جداً، لا يكاد يظهر إلا من خلال اللغة كبنى وألفاظ وأشكال تعبيرية، يستخدمها الكاتب كأديب أو فنان للتعبير عن المواقف المختلفة، لذلك اختلفت الخصائص الأدبية والفنية من عمل إلى آخر، ولا يظهر ذلك إلا من اللغة، وكذا الحوار كإطارين لعلاقة المتكلم بالمستمع في الخطاب المباشر أو غير المباشر، أو الممثل بالمشاهد في العرض المسرحي، وهذا ما يسعى هذا المقال إلى توضيحه من خلال مسرحية جبران خليل جبران " إرم ذات العماد"

الكلمات المفتاحية:

الفن – الأدب – الخصائص الأدبية والفنية – المسرح – جبران – إرم ذات العماد

## تمهيد:

للخطاب المسرحي صلة وثيقة بالخطاب الأدبي لأنه موضوع الوسيلة الأدبية بما هي الخاصة التي تجعل منه خطاباً أدبياً، وهو ما يتقاطع مع أن الأدبية تتجسد في الخطاب بصفة كاملة وليس جزءاً معيناً منها. ويتعدى حدود القراءة الأدبية الصرفة ليشمل لغة حلقة العرض. كما أن الفاعلين في الخطاب المسرحي ينبغي البحث عنهم في الأماكن التي لا تتوقع وجودهم فيها، إلى درجة أن الفاعل الأيديولوجي والفاعل النفسي غالباً ما يظهر كما لو أنهما خارج المركز، حيث يقدم الإخراج عنهما سوى صورة تقريبية وهمية. مما يجعل الخطاب المسرحي متّسماً بالثبات أو السكونية، فالممثل والمخرج يفضلان التمايز عن النص وإعادة صياغته وبناءه حسب المقام التلفظي.

إن موضع الخطاب المسرحي في مقام معين تكشف بحسب درجة دقتها وشرحها عن العناصر التي كان من الممكن أن تظل خفية داخل النص، وهو ما يسعى إليه المقال في توضيح الخصائص الأدبية والفنية في مسرحية جبران خليل جبران "إرم ذات العماد". لذا كان الخطاب المسرحي وصلة للعمل المنجز، متعدد الخصائص الفنية والأدبية، يقدم أفكاراً موضوعية باعتباره يعتمد على وسائل مختلفة من خلال ترجمة النص إلى عرض مسرحي بغية التأثير في المتلقي.

الخطاب المسرحي ذو بعد لساني، له صلة وثيقة بالخطاب الأدبي يشتمل على خاصية مميزة، تجعل منه منه خطاباً أدبياً. وهو ما يجعل المسرحية تتشكل من خصائص أدبية وأخرى فنية، تتجسد في الخطاب بصفة عامة. لأنه يتعدى حدود القراءة وكذلك لاعتباره كلمة تخضع للدراسة اللغوية " المحكومة بالتعددية خلاف للنص السردي المكتوب، وخلال عملية التمسرح يتشكل النص وفق آلية ضبط جديدة لشفرته وكيفية انتظامها وتوزيعها في بنية الخطاب... " 1

## ملخص المسرحية:

تتألف المسرحية من فصل واحد، تزخر بأجواء التأمل الروحاني، يسرد فيها الكاتب قصة امرأة صوفية زاهدة مرت بعدة محطات بحياتها بدءاً من وفاة والدها أثناء توجيهها أداء مناسك الحج، لتقوم بدفنه والاعتكاف عند قبره لمدة سبع ليالٍ متتالية، حتى توحى إليها روحه أن تمضي في سبيلها نحو المكان في الجنوب الشرقي، لتدخل في الصحراء " الربع الخالي "

أمّا الناس فقد ظنّوا أنها ماتت، لكنّها تظهر في مدينة الموصل بعد خمس سنوات، حيث تخبر الناس بما قاسته وكيف دخلت مدينة "إرم" المحجوبة وأمورا ربانية، فتواجه هذه الأخيرة انتقادات ومعارضة - بعدما رحب بها في البداية- من قبل العلماء والشيوخ، حسدا منهم على ما رأيته وما نالته من معارف. تجوب مختلف بقاع الأرض من الآستانة وطرابلس وبلاد الشام إلى الموصل بالعراق، محدثة عمّا رأيته وعن الحق والعدل ومختلف القيم، إلا أنّها في كلّ مرة تلقى نفس المصير، فتقرر العزلة والابتعاد عن الناس، لتستقر في غابة عند نهر العاصي وتتخذها مأوى لها، وتلقّب بـ"جنية الوادي".

تبدأ أطوار المسرحية عندما يقدم شاب في مقتبل العمر يدعى نجيب رحمة، وهو أديب لبناني مسيحي، يبحث عن إجابات شافية لأسئلته الحرجة، وعن رحلة آمنة العلوية إلى المدينة الأسطورية إرم، التي أثارت في نفسه الفضول، وفي أثناء ذلك يلتقي بالدرويش الأعجمي زين العابدين، الذي طاف بقاع الأرض لكنه يشعر بالغربة فيها، ويدور بينهما حوار مطول يتعرف من خلاله على معلومات عن آمنة العلوية، من أنّ لها الكثير من المنازل، وأن جسدها يهيم في جهة وروحها في مكان آخر، فيزداد شوقا للقائها، تأتي آمنة العلوية إلى الغابة، فيندهش نجيب رحمة لهيئتها، يدور حوار شائق بينهما، عن مدينة إرم، وعن طبيعة هذه المدينة الأسطورية وكيفية زيارتها لها وهل أنها مصنوعة من عناصر الأرض أم أنها مدينة روحية، وهل رؤيتها مقصورة على الأنبياء أو الأشخاص الذين يصلون إلى مرحلة روحانية عالية، كما يريد معرفة أسرار الوجود والحقائق الدينية.. تجيبه آمنة العلوية عن كل هذه الأسئلة، وأنها بالفعل دخلتها وعانت فيها الجوع والعطش ووحشة الظلمات والمخاوف. كما تعلمه بأنه يحمل في ذاته الخلق بأسره، وأن لا شيء يفنى على الإطلاق، وتشدّد على أهمية الإيمان والمخيلة كملكيتين من ملكات العقل. في الأخير يستأذن نجيب ويعود إلى دياره، رفقة زين العابدين.

### الخصائص الأدبية:

يقتضي من المؤلف أو كاتب النص أن يكتب مؤلفه بلغة الشخصية، وما يتناسب مع الحياة في المسرح، لأنها تعتبر من نماذج التواصل داخل المسرحية والتعبير والتفكير، ويشترط فيها أن تكون بأساليب سهلة متاحة للفهم من قبل جمهور المتلقين. لأنها " هي

الصورة التي تتشكل بواسطتها فنون الأدب جميعا باعتبارها مستودع عواطفنا وأفكارنا، وإنما اللغة في أدب المسرح أو لغة المسرح على السنة تكمن عند محور النص مؤلفا"2

لذا عمد جبران في نصه المسرحي " إرم ذات العماد" إلى التنويع في أساليب العرض، ففي البداية بدأ بسرد أسطورة إرم ذات العماد، وأدرج بعض الظواهر التراثية، ووظفها توظيفا يتلاءم مع طبيعة طرحه الاجتماعي. كما جرّدها من مضمونها في الرواية التراثية . لتصبح رمزا يدل على العودة إلى الأصول والجذور، قصد البحث عن الذات والهوية .

أ - توظيف الألفاظ الدينية الصوفية:

( الروح، الوجود، الله ، المدينة المحجوبة، إرم ذات العماد، المقدسة ، ،  
، الوجدانيات ، الموت ، الإيمان ، المعرفة ، أنبياء ، الروحية ، مسيحيا ، طوائف ،  
الحجاج ، المدينة المنورة ، الأمور الربانية.

ب - توظيف ألفاظ الطبيعة : تعتبر من السمات المميزة لأدباء المهجر وذلك للهروب من الواقع والاستئناس بالطبيعة. كما أن لبيئته التي نشأ فيها تأثير كبير على كتاباته، من هذه الألفاظ الواردة بكثرة : ( نهار ، ليل ، صباح ، أشجار ، البحار ، الخريف ، أزهار ، الذرات ، الشمس ، أمواج البحر، .... إلخ )

ج - توظيف الرمز: عمد جبران لتوظيف الرمز في عمله هذا، لأنه من السمات التي تميز جلّ الرومنسيين وبالأخص كتاب الرابطة القلمية في المهجر. لذا استخدمه في مسرحية إرم ذات العماد في بناء مسرحيته برؤية حدائية، وفعل حدائي تعامل فيه مع الماضي والحاضر بمنظور جمالي، من خلال عكس الماضي على الحاضر، وإلباسه أفكاره المستحدثة، وفضح عيوب الحاضر، متخفيا وراء رمزية الماضي، وهو بذلك يحيلنا عبر الفعل الدرامي النشيط إلى اهتمام البشر بالأشياء المادية، وابتعادهم عن الاهتمام بتهذيب الروح، مع ضرورة الدعوة إلى توحيد الرؤى لمختلف الأديان، لأنها كلّها من مصدر واحد وموجهة إلى الإنسان المعني الأول بها ، مهما اختلفت توجّهاته. فكلنا سنلقى مصيرا واحدا وهو الرجوع إلى الله.

المنتبّع لهذا العمل يلاحظ مدى سعة ثقافة الكاتب واطلاعه على مختلف كتب الفكر والفنون والفلسفة والاستفادة من معين الثقافة التراثية العربية، وخاصة الصوفية منها.

كما أولى اهتماما كبيرا بالنص والأنساق وما وراء الألفاظ التي تدلّ على تمكّنه من ناصية اللغة.

د - الثنائية الضدية : أكثر الكاتب مما يعرف بالتضادّ في استخدامه مثال ذلك: ( القول والفعل، يصدق ويفند، ألقى واجتذب، جلست وتسير، أغمضت وفتحت، بداية و نهاية.

ه - الترادف: استخدم الكاتب بعض الترادفات للكلمة الواحدة في عدة مواضع نذكر بعضها: ( تسمع وتصغي، ترى تنتظر، دندنة وغناء ، عارية مجردة ....الخ

استعمل هذه التقنية لإيضاح المعنى، وهو حين يردف الكلمة ومعناها فهو بذلك يكون شارحا للمعنى.

و - التصوير الفني:

أكثر الكاتب من الصور الفنية من تشبيهات و صور بيانية (الاستعارة بنوعها والكناية ) ويمكن ذكر البعض منها: ( تشبيه تمثيلي في قوله: "إن العلوم التي أخذتها عنه لم تكن من العلم الذي أنزل عليها إلا بمقام الزبد من البحر)3

"كأنه في حديقة ؟

وكان ظهورها بما هي عليه من الجمال والهيبة والعلم والصلاح أشبه شيء بهبوط نيزك من الفضاء"4

- "فهى في الناس على اختلاف طوائفهم كندى الصباح الذي يهبط من الأعالي

- فكأن الشباب في وجهها يستر ألف سنة من المعرفة و الاختبار

- ... جامدين خاشعين متهيبين كأنهما بحضرة نبي من أنبياء الله...

- فكان مثلي مثل صياد ألقى شبكته في البحر ليصطاد سمكاً

- ليست الزهرة سوى عطر يتموج في الأثير. ليس هو إلا كالمزكوم الذي يقول ...

- ترفع عينيها إلى العلى كأنها تتناول شيئاً من جيوب الفضاء " 5

كما استخدم التعبير بالاستعارة على سبيل المثال :

"- الروح العاقلة التي ترى فتتهيب و تتأمل و تسمع فتفرح و تكتئب.

تنوعت أنماط الصورة الفنية في المسرحية، وفقاً لتنوع ثقافة الكاتب، فهو قد جمع بين ثقافتين مختلفتين الشرقية والغربية ، وهذا ما يثري مداركه الفنية. فقد لجأ إليها بغية تقوية المعنى وتجسيده وتشخيصه.

كما نلاحظ في المسرحية في فصلها شيئاً من المبالغة، ولكن هذه المبالغة جاءت في بعض الأحيان فلسفية الطابع. كما أن "أسلوب البلاغة الجبرانية ذات خيال نشط مجنح، ينشط في

أكثر الأحيان إلى عوالم الفن العلوية، فلا يلاحقه لاحق ولا يشق له غبار، ونسيج منمنم دقيق،  
تمسح عنه بيدها السحرية الحزن العميق والتشاؤم الأسود، فتلونه بألوانها القائمة وترسم عليه  
صورة إنسانية رائعة للقلب البشري، في كل مكان وزمان"6

لقد كان جبران في كل ما كتب مولعا بالتطويل والتكرار. فلا يدع الفرص المواتية له أن تفلت  
من يده لإظهار قدراته مثل قوله: جئت تسألنا عن دخولنا إرم ذات العماد؟"  
"من أنا وما أنا لأبقى خالداً؟"

"أفي كلّ خيال حقيقة يا سيّدي وهل في كلّ تصوّر معرفة؟"7

"إلى أين أنت مسافر؟

أتسمح لي بمرافقتك؟"8

## 6. الخصائص الفنية:

يمتاز هذا النوع من الخطاب بمجموعة من الخصائص الفنية التي تميزه عن بقية الأنواع  
من الخطابات، ويمكن ذكر بعضها على وجه التعيين فقط :

هذا النوع من الخطاب مزدوج، وقد أثبت وجود بنيويته "كخطاب مزدوج أدبي وفني في  
الوقت نفسه، ومن منطلق التعامل معه بصفة تلفظ يسعى من خلاله المتكلم إلى إقناع السامع  
والتأثير عليه بشكل كبير، فهو مزدوج صوري"9 وذلك في مثل قوله: أهنا تسكن أمانة  
العلوية؟

أفي هذا المكان تسكن أمانة العلوية ؟

أتعني أن لها بيتاً آخر؟"10

- كما يتميز الخطاب المسرحي عن مختلف الخطابات بعدة خصائص نورد بعضها على  
سبيل الذكر : (صفة الديمومة والتأثير الإيجابي على المتلقي، والمحمولات الفلسفية والفكرية  
والجماليات المأخوذة من خطاب النص إلى خطاب العرض، وانتمائه إلى الحاضر دائماً  
والعصرنة ) 11 ويمثل ذلك قوله:

"هلا أخبرتني أين هي الآن ؟

هل تعود اليوم إلى هذا المكان ؟"12

ماذا تنعي يا سيّدي بقولك إن لم يفتح لي كنت أنا الملوم؟

ماذا أقول لأكون حرياً باستماع حديثها؟13

أنت مسيحي "أليس كذلك؟" 14

• إن الفاعلين في الخطاب المسرحي ينبغي البحث عنهم في الأماكن التي لا تتوقع وجودهم فيها، إلى درجة أن الفاعل الأيديولوجي والفاعل النفسي غالبا ما يظهر كما لو أنهما خارج المركز. حيث يقدم الإخراج عنهما سوى صورة تقريبية وهمية.

أقول إننا محاطون بوجدانات تستميل وجداناتنا. 15

إن موضع خطاب مثل هذا، يكون في مقام معين للكشف بحسب درجة دقته وشرحه عن العناصر التي كان من الممكن أن تظل خفية داخل النص.

• كما يتسم بخاصيته المشهدية والحركية و قابليته للترجمة المشهدية، التي ترتبط بإيقاعه وبخصوصيته الصوتية.

• إن جدلية الخطاب المسرحي متفاوتة، فهو يرتبط بالتغيرات المقامية الدرامية ويتوالى وفق الصراعات الدرامية، أو حسب الحلول المقترحة لها، أو على العكس من ذلك سيكون محكوم بالصدفة، وهو "شكل تخاطبي يسعى إلى تعويض الحوار (التبادل الدرامي أو التخاطب)<sup>2</sup>. لأن طبيعة الخطاب المسرحي تقوم على اصطناع لغة أدائية يختلط فيها الملفوظ بالأداء الجسدي، أي أن الكاتب المسرحي يضع في اعتباره أن يوظف اللغة مع تصوّر أنّ جسد المتكلم مشارك في عملية تبادل التأثير وتبادل المعلومات من خلال المستويين اللفظ والحركي ( 16. كما أن "الطابع التركيبي للخطاب المسرحي وفاعلية نصوصه بتحولاتها الأفقية والعمودية، التي تحصل بفعل حالات الهدم والبناء المستمرين داخل فضاء الإنشاء المسرحي، هو ما يمنح العرض قدرة في تحويل دلالة الإنشاء والأجساد العارضة من حالة إلى أخرى" 17

في حين تقوم دعائم الخطاب المسرحي على الحوار" الذي يوظف فيه المتخاطبان كل طاقتهما الفكرية والجسدية في كثير من الأحيان" 18 باعتباره ينبني على جملة من البنى الفنية، التي يشترك فيها مع بعض أنواع الخطاب الأخرى ، والتي تعدّ أساسا لتشكله. ولعل أهمّها على الإطلاق التشخيص، الذي لا يقتصر على إظهار الشخصية بالمظهر الإنساني المألوف.

هوامش:

- 1 — بن أيوب محمد، عناصر المسرحية الأدبية الفنية من النص الدرامي إلى النص المسرحي، مجلة الباحث - noumr03 2016 جامعة قاصدي مرباح. ورقلة، 2015/11/22، ص02.
- 2 — حسن الأنصاري ، المرجع السابق حسين الأنصاري، الأثر الدلالي في الخطاب المسرحي بين المدون والمكتوب وفضاء النص، قسم الفنون، الدراسات النقدية العربية الأكاديمية العربية المفتوحة، دت ، ص09.
- 3 — محمد بن أيوب، عناصر المسرحية الأدبية الفنية من النص الدرامي إلى النص المسرحي، مجلة الباحث - noumr03 2016 جامعة قاصدي مرباح. ورقلة، 2015/11/22، ص06.
- 4 — جبران خليل جبران، البدائع والطرائف ، مسرحية ارم ذات العماد، المكتبة الثقافية، بيروت لبنان، د/ط، د/ت، ، ص117.
- 5 — جبران خليل جبران، البدائع والطرائف ، مسرحية ارم ذات العماد ، ، ص118.
- 6 — جبران خليل جبران، البدائع والطرائف ، مسرحية ارم ذات العماد ، ص129 .
- 7 — جبران خليل جبران، البدائع والطرائف ، مسرحية ارم ذات العماد ، ص135.
- 8 — جبران خليل جبران، البدائع والطرائف ، مسرحية ارم ذات العماد ، ص138.
- 9 — ليلى عائشة ، بنية الخطاب المسرحي العربي المعاصر بين ثنائية التجريب و الإبداع ، أطروحة دكتوراه إشراف د/صالح لمباركة ، جامعة وهران ، 2010-2011، ص502.
- 10 — جبران خليل جبران، البدائع والطرائف ، مسرحية ارم ذات العماد ، ص113.
- 11 — باسم الأغشم ، الخطاب المسرحي بين التراث و المعاصرة ، جريدة الصباح [www.alsabah.com](http://www.alsabah.com) .
- 12 — جبران خليل جبران، البدائع والطرائف ، مسرحية ارم ذات العماد ، ص114.
- 13 — جبران خليل جبران، البدائع والطرائف ، مسرحية ارم ذات العماد ، ص116.
- 14 — جبران خليل جبران، البدائع والطرائف ، مسرحية ارم ذات العماد ، ص119.
- 15 — جبران خليل جبران، البدائع والطرائف ، مسرحية ارم ذات العماد ، ص134.
- 16 — غسان غنيم، الخطاب في المسرح، مجلة الأثر، العدد الخاص، أشغال الملتقى الدولي الرابع لتحليل الخطاب، سوريا، دت.، 292، 292.
- 17 — غسان غنيم، الخطاب في المسرح، ص11.
- 18 — فطومة حمادي، تداولية الخطاب المسرحي، عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم نموذج، الملتقى الدولي الخامس للسينما، النص الأدبي، تبسة، دت ، ص593.